الرجاء الأخرويّ: بين الإيمان والهروب من الو اقع

ديفيد فيكتور

توطئة

مصطلح الأخرويَّات أو الأخِيريَّات، هو مصطلح يشير إلى عقيدة "الأمور الأخيرة"، ويُقصد بها أحداث الأمور الآتية ونهاية الزمان، الذي فيه يتمم الله مقاصده نحو الخليقة. ويتضمن هذا المصطلح الأمور المتعلقة بالحياة الأبدية.[1] والكنيسة على مر العصور -وبالأخص في أيام الاضطهاد- رأت في عقيدة الأخرويات ملجأً لتهرب نحو رجاء تحقق الوعود الأبدية، حيث لا ألم ولا دموع ولا مرض ولا أتعاب.

وفكرة الرجاء الأخروي -في الحقيقة- لم تقتصر على المسيحيين؛ ففي كل الديانات منذ فجر التاريخ كان الإنسان يحلم بالحياة الأخرى التي ينعم فيها بما يعوِّضه عما قاساه في هذا العالم. مثالًا على ذلك نرى كيف اهتمت الحضارةُ المصريةُ القديمة بالحياة بعد الموت، وهذا يظهر في بنائهم للقبور، وطقوس التحنيط، والمراسم الجنائزية المعقدة، التي تضمن للمتوفى أن يجتاز في رحلته في العالم الآخر بسلام، وصولًا للخلود.[2]

ملكوت الله

لا يمكن الحديث عن الأخرويات دون التطرق لمفهوم ملكوت الله، ولنبدأ بالتفسير الأخروي للملكوت، وهذا الفهم لملكوت الله يدعو إلى التمسك بالروحانية. وحسب هذا الرأي فإن تعليم يسوع كان أخرويًّا بالكامل. بمعنى أن الملكوت حقيقة رؤيوية مستقبلية تتحقق بتدخل معجزي من الله في التاريخ. على الجانب الآخر، التفسير غير الأخروي، حيث الملكوت موجود دائمًا في الحاضر والمستقبل. فالملكوت هو البشرية المنظمة حسب مشيئة الله. إنه نظام اجتماعي أكثر نبلاً، قادر على سد الفجوة بين ما هو ديني وما هو اجتماعي.

وهناك توجه لاهوتي آخر يرى أن الملكوت هو حكم الله الفادي الفعّال والنشط في توكيد سلطانه بين الناس، وأن هذا الملكوت الذي سيظهر كفعل أخروي في آخر الزمان، قد جاء فعلاً في التاريخ البشري- بل في شخص ورسالة الرب يسوع ليقهر الشر، ويحرر الناس من سلطانه، ولكي يأتي بهم إلى بركات حكم الله. إن ملكوت الله يتضمن لحظتين عظميين: لحظة تحقيقه ولحظة اكتماله في نهاية التاريخ؛ إذ إن حكم الله الفعّال قد غزا الدهر الحالي دون أن يحوله إلى دهر آتٍ. فالملكوت هو عمل الله بالكامل وليس عمل الإنسان. فهو ليس الصلاح

---

[1] محسن منير، "الأخيريات"، **التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس**، تحرير أندريه زكي (القاهرة: دار الثقافة، 2018)، ص. 2293.

[2] شريف الصيفي، **الخروج في النهار: كتاب الموتى** (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2009)، 20 - 28.

المثالي، ولا التقدم الذي لابد منه، ولا هو التاريخ، ولا مجرد عمل الله في التاريخ، بل هو اقتحام الله الطبيعي للتاريخ في شخص الرب يسوع، ومجيء الملكوت في التاريخ هو عمل الله المعجزي.[3]

المجتمع المسيحي المصري وثقافة الأقلية

عانى الأقباط في فترة ما بعد ثورة 1952 نوعًا من التهميش، والاغتراب، والانعزال عن المجتمع. هذا التهميش وصل لذروته في مرحلة السبعينيات وما بعدها. فعلى سبيل المثال كان الأقباط يتولون مراكز قيادية في الوزارات قبل 1952، هذا ما اختلف تمامًا بعد ذلك، كما أخذت الدولة في فرض سطوتها على مدارس الأقباط، وأيضًا وضعت الكثير من العقبات التي عرقبت -بل وشلت- عملية بناء وترميم الكنائس. وفي الإعلام منع تقديم أيِّ محتوًى مسيحي. ولا ننسى ما حدث من توترات طائفية في السبعينيات وما بعدها، هذا كله -على سبيل المثال وليس الحصر- أشعل فتيل الشعور بالتهميش لدى الأقباط.[4]

ونتيجة لهذا التهميش رأى البعض -وللأسف كانوا أغلبية- أن الوسائل التقليدية للحياة لن تأتي بنتيجة، فبدأوا بإنشاء مجتمعات خاصة، منغلقة، يمارسون فيها نشاطاتهم بمعزل عن باقي المجتمع.[5] وهذا رأيناه على سبيل المثال في مجتمعات طلبة الجامعات (الأسرة؛ Action Group؛ منطقة ما يطلقون عليه الـCH)، وفي بعض أماكن العمل أيضًا رأينا المسيحيين يفضلون الانغلاق على أنفسهم، أيضًا رأينا الانغماس في المجتمعات الكنسية (مثل إنشاء نوادي الكنائس) على حساب العلاقة مع العالم الخارجي.

هؤلاء الذين أنشأوا لأنفسهم مجتمعاتهم الخاصة، أصبحوا ينتمون كليًّا لمجتمعاتهم، وفي نفس الوقت كانوا مضطرين لأن يعيشوا حياتهم في مجتمع آخر، هذا خلق نوعًا من الازدواجية، بين مجتمع خلقوه، ومجتمع يشعرون أنه لا يلائمهم. فشعروا بانجذاب أكبر لمجتمعهم المغلق، بينما شعروا بالفشل والرفض في المجتمع العام الذي يحاولون أن يعتزلوه.[6]

هذا الشعور جعل المسيحيين يشعرون بأنهم "أقلية"، فنشأ عنه المزيدُ من الانعزال، ومزيدٌ من المجتمعات المغلقة، على جميع الأصعدة، وأصبح المسيحيون يركزون اهتماماتهم على مجتمعاتهم المغلقة، وأصبحت هذه الجماعات مصدر الإشباع لمعظم الاحتياجات الروحية والاجتماعية، مما جعلها مصدر جذب لمسيحيين آخرين.[7]

---

[3] أندريه زكي، "الكنيسة والمجتمع"، **التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس**، تحرير أندريه زكي (القاهرة: دار الثقافة، 2018)، ص. 1706 - 1707.

[4] Andrea Zaki Stephanous, *Political Islam, Citizenship, and Minorities: the Future of Arab Christians in the Islamic Middle East* (Maryland: University Press of America, 2010), 120 - 122.

[5] رفيق حبيب، **الاحتجاج الديني والصراع الطبقي في مصر** (القاهرة: سينا للنشر، 1989)، ص. 146، 147.

[6] المرجع السابق، ص. 147.

[7] المرجع السابق، ص. 172 - 174.

وفي هذا السياق يرى د. رفيق حبيب -بحسب كلماته- أن نتيجة لذلك "يندفع الشباب إلى المزيد من الانعزال عن المجتمع، والمزيد من رفض المجتمع، فداخل نطاق شعور الأقلية يلجأ الشباب إلى رفض المجتمع على مستوى الفكر واللفظ، وإلى الانعزال عن المجتمع والانفصال عنه، وكأنه كيان غريب ليس لهم علاقة به. فلأن الشباب لا يستطيع الدخول في مواجهة السلطة السياسية، والمجتمع لهذا يلجأ ... للميل للانعزال والرفض ... فالشباب القبطي المنعزل، نتيجة للهامشية الاجتماعية خلق لنفسه جماعات تتبع الكنيسة يحقق من خلالها إشباعاته وطموحاته."[8]

عقلية الأقلية والرجاء الأخروي

عادةً ما تتجه عقلية الأقلية، بشكل لا إرادي، إلى البحث عن حل سحري، ينهي الألم الحاضر، ويرد المسلوب، ويعيد المجد. هذا نراه في ما تعيشه الأقلية من السير وراء الأحلام الرؤيوية والأخروية في عودة المسيح؛ لينهي هذا العالم الشقي، بعدها يؤسس ملكه الألفي،[9] الذي فيه لا وجود لألم، ولا خوف، وفيه تسترد الخليقة -حتى الحيوانات- طبيعةً مسالمةً. فمُلك المسيح يعد نموذجًا مثاليًّا لحكومة مؤسسة على الحق الإلهي، لا تعرف تمييزًا وتحقق المساواة.

وما أحلى أن يكون هذا الحلم بالتدخل الإلهي هو المهرب من الواقع بضغوطه. هذا المهرب يتركز في نمط التفكير الأخروي الذي أشرنا إليه، والذي يرجو التخلص من النظام الاجتماعي، عن طريق حل حتمي، تحت قيادة الله وسلطته، وقيادته، حيث يحقق الله إرادته الصالحة.[10]

هذه الرؤية للواقع المتمثلة في الهروب والانعزالية، في انتظار حلٍّ أخروي، جعلت الكنيسة المصرية تعيد صياغة لاهوت أخروي خاص بها، يمكننا وصفه بأنه "لاهوت أزمة" مصري خالص. هذا اللاهوت سأقوم بعرضه من خلال تحليل بعض الترانيم التي ظهرت في الحقبة الزمنية التي أشرت إليها سلفًا (بعد ثورة 1952، مرورًا بالسبعينيات كمحطة أساسية، وحتى الآن.). تعبِّر الترانيم عن فكر ووجدان الجماعة، لذا فلو نظرنا بشكل سريع إلى التاريخ العربي المعاصر لوجدنا أن الكلمات الملحَّنة لها تأثيرٌ كبيرٌ في المواقف المتعددة التي اجتازتها هذه الجماعة، وكذلك ارتبطت أغنيات معينة بمواقف محددة، البعض منها انتهت بنهاية الموقف والبعض الآخر ظل خالدًا في وجدان الناس.[11]

الترانيم نموذجًا

---

[8] المرجع السابق، ص. 174، 175.

[9] أندريه زكي، "الفكر اللاهوتي وعقلية الأقلية"، **نحو لاهوت عربي معاصر**، تحرير أندريه زكي (القاهرة: دار الثقافة، 2007)، ص. 507.

[10] رفيق حبيب، ص. 190، 191

[11] أندريه زكي، "الترانيم: نظرة لاهوتية وكتابية"، **التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس**، تحرير أندريه زكي (القاهرة: دار الثقافة، 2018)، ص. 204.

الكلمات المنشدة والملحنة تحمل في طياتها أراءً سياسية واجتماعية وثقافية ودينية، هذا الموقف يعكس ثقافة الجماعة وكذلك أدبياتها وعاداتها وتقاليدها، وفي معظم المرات يدعو إلى فكرة واضحة ومحددة ويرتبط بمنظومة أيديولوجية من زمانه. ويعبر بشكل أو بآخر عن خبرة إنسانية.[12] لذا ومن خلال هذا المدخل التحليلي سوف أحاول التعرض لبعض الترانيم في محاولة لتقديم قراءة نقدية بهدف الوصول للب الفكر اللاهوتي المعبَّر عنه في هذه الترانيم، وما تحويها من أيديولوجيات مصرية خالصة تعبر عن حقبة هامة في تاريخ مصر.

العالم يبني ويزرع[13]:

1- العالم يبني ويزرع وتملّي مش شبعان همه يكنز ويجمع وعن يسوع غفلان

القرار

لكن أنا مش من هنا أنا ليا وطن تاني لا مال ولا جاه ولا غني دا كله عالم فاني

2- شايل هم الأيام محروم من السلام وشكوي وكتركلام م الضيق وم الآلام

3- واحد منفوخ ع التاني زي الحصان الجامح يعمل للكلمة معاني ولا يعرف مرة يسامح

4- العالم يجري ويكدح ورا سيد اسمه المال وزرع الشر ما يفلح والكل شيء زوال

5- يبكوا ع الحظ الخاين مش جاي على هواهم عاوزين في الدنيا جناين والعمر يستناهم[14]

النظرة المبدئية لهذه الترنيمة تجعلنا نرى العديد من الأفكار الغريبة، ولعل أهمها رفض العمل "يبني ويزرع" وربط البناء والزرع بعدم الشبع، هذا رغم أن وصية الله الأولى للإنسان هي: "أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ" (تك 1: 28). بل ويرى المرنم أن الميل للبشري للسعي في تحقيق الذات والثروة هي عمل شرير على طول الخط.

لكن فكرة الترنيمة الرئيسة، والتي يعبر عنها القرار، هي: "لكن أنا مش من هنا أنا ليا وطن تاني". وهنا - صراحةً- يتملص المرنم من كونه مواطنًا أرضيًّا، ليلخِّص سبب وجوده في كونه مواطنًا سماويًّا فقط، ونتيجة لهذا فإن ما في العالم من أمور -سواء أكانت خيرًا أم شرًّا- فهي لا تعنيه. ووجوده في هذا العالم الذي وصفه بأنه "عالم فاني" ليس سوى كأنه محطة انتظار للرجاء الأخروي المجيد والمنتظر.

رغم إن مؤلف وملحن هذه الترنيمة هو كاهن أرثوذكسي؛ إلا أن الترنيمة لاقت رواجًا شاسعًا بين الكنائس البروتستانتية بشتى طوائفها، فمن أظهرها للنور هو المرنم البروتستانتي المعروف نجيب لبيب، حيث كانت إحدى ترانيم ألبومه العاشر "جراح حبيبي".

---

[12] المرجع السابق.

[13] كلمات وألحان: الأب مكاري يونان.

[14] بيونج هاك لي، **اصنع بنا نهضتك: 900 ترنيمة للاجتماعات** (القاهرة: دار النشر الأسقفية، 2014)، ص. 356.

وانتشار هذه الترنيمة هو دليل على بحث المجتمع المسيحي في هذه الفترة عن التعزية في تأكيد لنفسه، أن العالم الذي يعد مصدر ألم وإزعاج هو "عالم فاني"، وأن تهميشه وإقصاءه كمواطن أرضي أمر لا يُحزن عليه، لوجود "وطن تاني" يعد هو الوطن الحقيقي.

يا كنيسة يا متغربة[15]:

1- (يا كنيسة يا متغربة ده يسوع واقف ع المينا
والدمعة اللي مقربة دي علامة قرب فادينا)2

القرار

راجع راجع لينا ده كلامه اللي معزينا
راجع راجع لينا كلنا سايبين أراضينا
(شاهدين عارفين)2 (بمجيئه التاني إلينا)2

2- (بالعالم متجربة وآلات إبليس حوالينا
أهي شمسك أهي مقربة ارفعي هلبك يا سفينة)2

3- (ومدينتك أهي مرحبة وعريسنا أهو مستنينا
أكاليلك مترتبة قبل ما هتشوفها عينينا)2

4- (شهدائك زمن الصبا بدماهم رفعوا إيدينا
الناس قالوا متغربة ماشافوش يسوع وسطينا)[16]2

البعد الأخروي واضح بجلاء في كلمات هذه الترنيمة، بداية من مطلعها، إذ وصف الكنيسة بأنها "متغربة". ورغم أن وصف الكنيسة نفسها بالاغتراب، والمبني على نص عبرانيين 11: 8 – 11، هو رأي كتابي لكن إبراهيم لم يكن سلبيًا تجاه العالم. كما وصف المرنم في العدد الأول العالم بأنه مكان به "دمعة مقربة" وهذه الدمعة هي دليله على اقتراب الرجاء الأخروي الذي وصفه "علامة قرب فادينا ... بمجيئه التاني لينا".

بعدها وفي قرار الترنيمة يؤكد على الرجاء بأننا "سايبين أراضينا" وهذا هو "كلامه اللي معزينا". ثم في العدد الثاني يرى أن العالم مكان تجربة، ومركز لآلات إبليس، هذا ما سينهيه المجيء الثاني. وفي العدد الثالث يعبر عن ترحيب المدينة السماوية بالمؤمنين، وفي العدد الرابع يؤكد أن المجيء هو نهاية الآلام وعصر الاستشهاد.

هذه الترنيمة هي خير مثال على التدليل على مفارقة رفض العالم في مقابل الرجاء الأخروي المتمثل في مجيء المسيح الثاني، والانتقال لعصر يهيمن فيه المسيح، فيشعر المؤمنون بما افتقدوه في عالم شعروا بانفصالهم عنهم، وعدم انتمائهم له.

---

[15] كلمات وألحان: ماهر فايز.

[16] بيونج هاك لي، ص. 341.

شمس عمرك راح تغيب[17]:

قرار

(شمس عمرك راح تغيب ليه معاند يا غريب)2

(قوم تعالى للصليب قوم ليسوع اندم وتوب)2

(فجر عمرك لسه جاي طول مالينا يسوعنا حي)2

1-(السنين بتمر تجري ليه في أرض المر تجري لا السنين بتحس بينا ولا القبور هاضيق علينا)2

2-(فين ساعاتك اللي فاتت مع دقايق صمت ماتت)2 (ليه سكاتك فكر شاتت دي حياتك ولا هانت)2

3-(ليه حياتك أرض بور والسواقي جنبك تدور ليه تبات بين ألف سور كسر الضلمة بنور)2

4-(الحياه زي البخار ليه تبيع عمرك بنار والشيطان عملك ستار دوس عليه وخدلك قرار)2[18]

المرنم في هذه الترنيمة ينظر للعالم بمنظور قاتم السواد، وبفلسفة عدمية فيصفها بـ"أرض المر" التي نعيش سنين فيها يصفها بأن "لا السنين بتحس بينا"، ونهايتها الحتمية القبور التي لن "تضيق علينا". وهي على كل حال كما يصفها في العدد الأخير "زي البخار" وإن تمسَّكتَ بها ستكون كأنك "تبيع عمرك بنار". لهذا في القرار - وهو مطلع الترنيمة أيضًا- يحذر بلهجة شديدة "شمس عمرك راح تغيب. هذه الرؤية السوداوية للحياة التي يعبر عنها كثيرًا بالجملة العدمية "مسيرها تنتهي" كانت انعكاسًا لحياة لاقى فيها الكثيرون اضطهادًا دفعهم لتحقير الحياة الحاضرة، في مقابل نعيم الحياة الآتية.

إن اشتياق القلب زاد[19]:

1- إن اشتياق القلب زاد وكثر الحنين متى ترى يأتي الرحيل ويبطل الأنين

القرار

سأرى سأرى عيانا فادي الورى

أمكث جواره بلا نحيب

سأنسى أنا أتعابي هنا سأنسى أنا آلامي هنا

حين ألقى يسوع الحبيب

2- أودع ظلم الحياة وكدر العيش أنساهما لما أرى حبيبي في العرش

3- إن آجلًا أو عاجلًا سأرقب الصباح تنقشع كل الغيوم إذا ما الفجر لاح

4- تمسك يدي قيثارة من صنع ذا الفادي أرنم لحن الظفر بها للأبد[20]

---

[17] كلمات وألحان: ماهر فايز.

[18] بيونج هاك لي، ص. 175.

[19] كلمات وألحان: أنيس يونان.

[20] بيونج هاك لي، ص. 83.

هذه الترنيمة واحدة من الترانيم التي كانت -ولازالت- ترنم في معظم خدمات التعزية في الكنائس الإنجيلية. ففيها يقدم المرنم بوضوح تمسكه بالرجاء الأخروي متسائلًا: "متى ترى يأتي الرحيل ويبطل الأنين"، وكأن الهدف من الحياة هو الرحيل. وفي القرار يوضح سبب انتظار الرحيل قائلاً: "سأنسى أنا أتعابي هنا سأنسى أنا آلامي هنا، حين ألقى يسوع الحبيب". وفي العدد الثاني يؤكد: "أودع ظلم الحياة وكدر العيش"، وأيضًا في العدد الثالث: "تنقشع كل الغيوم إذا ما الفجر لاح". وهكذا مرة أخرى نجد مفارقة كره العالم، وانتظار رجاء أخروي تتكرر.

الترانيم الأربع التي تطرقت إليها، ليست حصرًا، بل هي مثال لترانيم قدمت مفهوم ترك الأقلية للعالم، الذي يرونه مكان ألم وشقاء ليس إلَّا، بل -وكما رأينا- أن البعض رأى أن العمل والكد في العالم لا قيمة له. لكن لكي أكون منصفًا ليس الخطاب كله على هذا المنوال، وسأعرض لاحقًا ترانيم تتبنى رؤية نظر معتدلة.

ملكوت الله: الآن وليس بعد (Now and not yet)

في الوقت الحالي، يعيش المسيحيون في تخبُّطٍ لاهوتي كبير: فنحن نمتلك بالفعل كل بركة روحية في المسيح، لكننا لم نختبر ملء هذه البركات بعد. يكمن خلف هذا التخبط اللاهوتي والعملي حدثٌ فارقٌ في تاريخ المسيحية؛ ألا وهو مجيء المسيح، فالمسيح في مجيئه الأول، افتتح الأيام الأخيرة؛ فنادى: "تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ" (متى 4: 17)، وفي عظته على الجبل، والتي يعدها الكثيرون دستور المسيحة، تحدث السيد عن "ملكوت السماوات". ونادى مؤكدًا: "قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللهِ" (مرقس 1: 15)، في مجيئه الثاني سيتم كل شيء، وحتى مجيئه الثاني، نعيش في "تداخل العصور".

وهكذا فإن هناك بُعدَيْن لملكوت الله؛ الأول هو أن الملكوت حاضر الآن، والثاني أن الملكوت لم يأتِ بعد لملئه.[21] فوفقًا لنصوص الكتاب المقدس فإن المؤمنين:

1. تم تبنّيهم بالفعل؛ إذ يقول بولس: "إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضًا لِلْخَوْفِ، بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ: «يَا أَبَا الآبُ»." (رومية 8: 15)؛ ولكن لم يتم تبنيهم بعد، إذ نجد بولس يقول أيضًا في نفس الرسالة: " بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بَاكُورَةُ الرُّوحِ، نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضًا نَئِنُّ فِي أَنْفُسِنَا، مُتَوَقِّعِينَ التَّبَنِّيَ فِدَاءَ أَجْسَادِنَا." (رومية 8: 23).
2. تم افتداؤهم بالفعل في المسيح، إذ يقول بولس: "الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ بِدَمِهِ، غُفْرَانُ الْخَطَايَا، حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ." (أفسس 1: 7)، لكن لم يتم افتداؤهم بالكامل بعد، فيقول بولس أيضًا في رسالته لأفسس:

[21] Bert Wagnor, "The Theology and Practice of The Kingdom of God," Vineyard USA, accessed May 22, 2021, https://vineyardusa.org/library/the-theology-practice-of-the-kingdom-of-god/.

"وَلاَ تُحْزِنُوا رُوحَ اللهِ الْقُدُّوسَ الَّذِي بِهِ خُتِمْتُمْ لِيَوْمِ الْفِدَاءِ. لِيُرْفَعْ مِنْ بَيْنِكُمْ كُلُّ مَرَارَةٍ وَسَخَطٍ وَغَضَبٍ وَصِيَاحٍ وَتَجْدِيفٍ مَعَ كُلِّ خُبْثٍ." (أفسس 4: 30 - 31).

3. مقدَّسون بالفعل في المسيح، فيقول بولس: "إِلَى كَنِيسَةِ اللهِ الَّتِي فِي كُورِنْثُوسَ، الْمُقَدَّسِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، الْمَدْعُوِّينَ قِدِّيسِينَ مَعَ جَمِيعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ فِي كُلِّ مَكَانٍ." (1 كورنثوس 1: 2)، لكنهم لم يتقدسوا بعد، فيقول بولس: "وَإِلهُ السَّلاَمِ نَفْسُهُ يُقَدِّسُكُمْ بِالتَّمَامِ. وَلْتُحْفَظْ رُوحُكُمْ وَنَفْسُكُمْ وَجَسَدُكُمْ كَامِلَةً بِلاَ لَوْمٍ عِنْدَ مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ. أَمِينٌ هُوَ الَّذِي يَدْعُوكُمُ الَّذِي سَيَفْعَلُ أَيْضًا." (1 تسالونيكي 5: 23-24).

4. سبق أن خلصوا في المسيح، فنقرأ في أفسس: "لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ." (أفسس 2: 8)، لكن لم يخلصوا بعد، وهكذا نقرأ في رسالة رومية: "فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُتَبَرِّرُونَ الآنَ بِدَمِهِ نَخْلُصُ بِهِ مِنَ الْغَضَبِ! لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا وَنَحْنُ أَعْدَاءٌ قَدْ صُولِحْنَا مَعَ اللهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ، فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُصَالَحُونَ نَخْلُصُ بِحَيَاتِهِ!" (رومية 5: 9).

5. قد أقيموا بالفعل مع المسيح، وهذا ما يؤكد عليه الرسول بولس قائلاً: "اَللهُ الَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ، مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا، وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ -بِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ- وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ." (أفسس 2: 4 - 6)، لكن الله لم يقمنا بعد، لذا يوضح الرسول بولس: "فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، عِنْدَ الْبُوقِ الأَخِيرِ. فَإِنَّهُ سَيُبَوَّقُ، فَيُقَامُ الأَمْوَاتُ عَدِيمِي فَسَادٍ، وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ. لأَنَّ هذَا الْفَاسِدَ لاَبُدَّ أَنْ يَلْبَسَ عَدَمَ فَسَادٍ، وَهذَا الْمَائِتَ يَلْبَسُ عَدَمَ مَوْتٍ. وَمَتَى لَبِسَ هذَا الْفَاسِدُ عَدَمَ فَسَادٍ، وَلَبِسَ هذَا الْمَائِتُ عَدَمَ مَوْتٍ، فَحِينَئِذٍ تَصِيرُ الْكَلِمَةُ الْمَكْتُوبَةُ: «ابْتُلِعَ الْمَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ». «أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكِ يَا هَاوِيَةُ؟»." (1 كورنثوس 15: 51 - 55)[22].

إن ملكوت الله هو ببساطة مركز حكم الله. لذلك، عندما يقول يسوع إن الملكوت اقترب، فإن ما يقصده هو أن سلطانه أو ملكه أصبحا في متناول اليد، ويمكن العيش تحت ظلّهما. مثال على ذلك فصول السنة (الربيع، الصيف، الخريف، الشتاء). فمثلاً يكون الجو باردًا في الشتاء. ولكن عندما يأتي مارس، نادرًا ما يبدو الجو وكأنه ربيع على الرغم من أنه رسميًّا الربيع. الربيع هنا قد تم افتتاحه، ولكن لم يتم استكماله بالكامل بعد. لا يزال على المرء أن ينتظر شروق الشمس والرياح الدافئة. هكذا الحال مع ملكوت السماوات/الله: تم افتتاحه، لكن لم يكتمل بعد؛ لقد حان، لكنه لا يزال قادمًا.[23]

---

[22] David Briones, "Already, Not Yet: How to Live in the Last Days," Desiring God, August 4, 2020, https://www.desiringgod.org/articles/already-not-yet. Accessed May 22, 2021.

[23] David M. Shaw et al., "The Already and Not-Yet Kingdom - The Gospel Coalition: Australia," The Gospel Coalition | Australia, April 8, 2018, https://au.thegospelcoalition.org/article/already-not-yet-kingdom/. Accessed May 22, 2021.

واليوم ونحن نناقش دور الكنيسة في العالم ومن أجل العالم وكيف يكون لها تأثيرٌ أخلاقيٌّ حقيقيٌّ يدفع نحو تحقيق متكامل ومتنامٍ لملكوت الله.

هناك اتجاه يُبنى على أساس مفهوم الملكوت كحدثٍ أخروي مستقبلي. ويركز على الكرازة كوسيلة أساسية يمكن عن طريقها جعل الناس يعملون للحياة الأبدية ومن ثم ملكوت الله الأخروي. وإذا تركت الكنيسة هذه الرسالة وانشغلت بغيرها خرجت عن دائرة دعوتها، وفقدت بذلك المفتاح المقدس الذي سلمه الرب للكنيسة لتدخل به إلى قلب الخاطئ، وهو المناداة بالتوبة والإيمان بالمسيح.

واتجاه آخر يبرز الحاجات الاجتماعية للناس، ويدعو الكنيسة إلى أن تهتم اهتمامًا خاصًّا بالخدمات الاجتماعية. وأصحاب هذا الرأي لا ينكرون أن رسالة الكنيسة الأصلية هي رسالة روحية، لكنهم يقولون: كيف يصل الإنجيل إلى جماعة من الناس في أحط الحالات صحيًّا واجتماعيًّا. ويقولون إن الكنائس يجب أن تقدم للناس ما قدمه المسيح في حياته على الأرض، إذ إنه اهتم بالمساكين، وشفى المرضى، وأشبع الجياع وأزال من حياة الناس ما يعطلهم عن الاستماع إلى رسالة الإنجيل.

وفي إطار هذا الاتجاه الثاني قد تنجرف بعضُ الكنائس نحو التركيز على الجوانب الاجتماعية فقط، حتى توشك أن تضيع رسالة الكنيسة الروحية من منطلق تصوُّرِهم لمفهوم الملكوت المحقق هنا والآن فقط، دون تصور إمكانية وجود تحقق كامل ونهائي للملكوت الأخروي. ومن ثم فإن العمل الاجتماعي هو الوسيلة الرئيسية لجعل الملكوت حقيقة واقعة.

إلا أننا ككنيسة في منطقتنا العربية، نحتاج أن نؤكد على فهمنا لماهية طبيعة وهدف ملكوت الله، باعتبار أنه حقيقةٌ واقعةٌ في الحاضر وحدثٌ مستقبليٌّ في آنٍ واحد (now and not yet). وهكذا يمكن أن تجمع الكنيسة في إطار هذه الرؤية للملكوت، بين كلٍّ من الكرازة والمسؤوليَّة الاجتماعي معًا لتصحيح بعض شرور هذا العصر، وتحريك التاريخ تجاه الكمال الذي سيأتي عندما يعود السيد المسيح في مجيئه الثاني، ويحقق الملكوت في صورته النهائية الأخروية.[24]

ونهاية -في هذا السياق- أود أن أشدد على أن التوازن في فهم وتطبيق ملكوت الله ببعديه "الآن وليس بعد" هو أمر بالغ الأهمية، فالسير في الاتجاه المعاكس للرجاء الأخروي، سيقود الكنيسة لاعتناق لاهوت الرخاء،[25] وما أشد تدمير هذا، الفكرة.

---

[24] أندريه زكي، **الأقباط والثورة** (القاهرة: دار الثقافة، 2015)، ص. 97 – 100.

[25] لاهوت الرخاء (يُشار إليه أحيانًا باسم إنجيل الرخاء، أو إنجيل الصحة والثروة، أو إنجيل النجاح، أو الإيمان الأساسي)، وهو اعتقاد ديني مثير للجدل بين بعض المسيحيين البروتستانتيين، الذين يرون أن النعمة المالية والرفاه الجسدي هما دائمًا إرادة الله لهم، وأن الإيمان والخطاب الإيجابي والتبرعات لأسباب دينية ستزيد من الثروة المادية للفرد. يعتبر لاهوت الرخاء أن الكتاب المقدس هو عقد بين الله والبشر: إذا كان الإنسان يُؤمن بالله، فسيوفِّر الله الأمان والرخاء. تؤكد العقيدة على أهمية التمكين الشخصي، إذ تقترح أن مشيئة الله هي من تقرر مباركة شعب معين. يُفسر الخلاص في المسيحية (المصالحة مع الله)، على أنه يشمل التخفيف من

ترنيمة ختامية

كما قمت بتحليل ترانيم تقدم الرجاء الأخروي باعتباره المهرب من الواقع، أود أن أعرض ترنيمة -على سبيل المثال- قدمت فكرًا أخرويًّا متزنًا:

<u>ياللي بطول الرحلة معين</u>[26]:

ياللي بطول الرحلة معين	ولينا راعينا وخل أمين
إنت إلهنا وعزنا بيك	نعدي ف وادي البكا غالبين
(ياللي مليت العمر بجودك	نعمة وتعويض بالأفراح
كفاية لينا يا رب وجودك	أيامنا وياك في نجاح)2
(إنت إلهنا في رحلة عنا	وإنت التسبيح والترنيم
إنت الرضا بطول المدى	بحمد بنهتف ليك يا كريم
وإنت الخير غزير ووفير	بيملا حياتنا بشكر عظيم
وإنت سرور وري البور	وواحة وراحة وفيض ينبوع
وإنت العزا وإنت الرجا	أمين تعال يا ربي يسوع

(أمين تعال يا ربي يسوع)2[27]

حدة المرض والفقر، والتي يُنظر إليها على أنها لعنات يجب كسرها عن طريق الإيمان. [ماجد جرجس, "إنجيل الرخاء" reformationtheology, 17 سبتمبر 2011، https://reformedthology.wordpress.com/2011/09/17/%D8%A5%D9%86%D8%AC%D9%8A%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%AE%D8%A7%D8%A1-%D8%A8%D9%82%D9%84%D9%85-%D9%85%D8%A7%D8%AC%D8%AF-%D8%AC%D8%B1%D8%AC%D8%B3/. تم الوصول إليه 23 مايو 2021.؛ مينا ميشيل، "إنجيل الرخاء والصحة والغنى.. هل هو كتابي؟" خدمة المشورة والنضج المسيحي، https://arabic-christian-counseling.com/index.php?option=com_content&view=article&id=1036%3A%D8%A5%D9%86%D8%AC%D9%8A%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%AE%D8%A7%D8%A1-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%AD%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%BA%D9%86%D9%89-%D9%87%D9%84-%D9%87%D9%88-%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8%D9%8A%D8%9F&catid=12&Itemid=165&lang=ar. تم الوصول إليه 23 مايو 2021.]

[26] كلمات وألحان: ناصف صبحي.

[27] بيونج هاك لي، ص. 269.

رغم إن المرنم أقر بأن نسير في "وادي البكاء"، وأننا نسير في "رحلة عنا"، لكنه يصف أن معية الله (الملكوت الآن) هو: "معين"؛ "عزنا"؛ "نعمة وتعويض بالأفراح"؛ "هنا"؛ "تسبيح وترنيم"؛ "خير غزير ووفير"... إلخ. ثم يختم بانتظار الرجاء الأخروي (الملكوت ليس بعد) مرنمًا "أمين تعال يا ربي يسوع".